والكاف والدال فإنا لم نزعم أن العرب كلها مَدراً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلّهَا والحروف أجمعها وما العرب في قديم الزمان إلاّ كنحن اليوم فما كل أحد يعرف الكتابة والخط والقراءة .

وأبو حية كان أمس وقد كان قبله بالزمن الأطول من كان يعرف الكتابة ويخط ويقرأ وكان في أصحاب رسول ا كاتبون منهم : عثمان وعلي وزيد وغيرهم وقد عرضت المصاحف على عثمان فأرسل بكَتف شاة إلى أبيّ ابن كعب فيها حروف فأصلحها أفيكون جهل أبي حية بالكتابة حجة على هؤلاء الأئمةوالذي نقوله في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تَداولوا الإعراب أنا نستقرىء قصيدة الحطيئة التي أولها : [- من مجزوء الكامل -] .

(شاقتكَ أظعان لليلى ... دون ناظرةٍ بواكرْ) .

(فنجد قوافيها كلها عند الترنم والإعراب تجيء مرفوعة ولولا علم الحطيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقاً من غير قصد لا يكاد يكون .

فإن قال قائل : فقد تواترت الروايات بأن أبا الأسود أولُ من وضع العربية وأن الخليل أول من تكلم في العروض .

قيل له : نحن لا ننكر ذلك بل نقول : إن هذين العلْمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الأيام وقلاّ في أيدي الناس ثم جددهما هذان الإمامان .

وقد تقدم دليلنا في معنى الإعراب وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفاً معلوماً قول الوليد بن المغيرة منكراً لقول من قال إن القرآن شعر : لقد عرضته على أقْرَاء الشعر هَزَجه ورَجَزه وكذا وكذا فلم أره يشبه شيئاً من ذلك أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر ! .

وقد زعم ناس أن علوماً كانت في القرون الأوائل والزمن المتقادم وأنها دَرَست وجددت منذ زمان قريب وترجمت وأصلحت منقولة من لغة إلى لغة وليس ما قالوا ببعيد وإن كانت تلك العلوم بحمد ا وحسن توفيقه مرفوضة عندنا .

فإن قال : قد سمعناكم تقولون : إن العرب فعلت كذا ولم تفعل كذا : من أنها لا تجمع بين ساكنين ولا تبتدىء بساكن ولا تقف على متحرك وأنها تسمى الشخص الواحد بالأسماء الكثيرة وتجمع الأشياء الكثيرة تحت الإسم الواحد